

# الفصل الأول

obeikandi.com

obeikandi.com

## الجهل

كلما ابتعد الناس عن الدين، اقتربوا من الخرافة. وإذا عاشوا في الخرافة خيم عليهم الجهل. وإذا خيم عليهم الجهل وقعوا في الضلال وانغمسوا في الرذيلة وشاعت الفاحشة وانهارت الأخلاق وقد قيل:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأثماً وعويباً

ومما لا شك فيه أن الأمية الدينية انتشرت بين جميع فئات المجتمع، وأن الفقه في معرفة الحلال والحرام غاب عن مجتمع المسلمين، وانتشر الجدل بين كثير من الناس، وتصدر للفتوى من ليس لديه معلومة من دين ولا فقه ولا معرفة بسنة نبوية ولا بأية قرآنية. وتجراً الناس على الدين، وقالوا بما لا يعرفون، وسألوا من لا يفقهون؛ وهذه مصيبة بل كارثة كبرى وطامة عظيمة. وتجراً الناس على العلماء، وتناولوا عليهم، ونالوا منهم، ونظروا إليهم على أنهم من الموظفين في الدولة، شأنهم شأن أي إنسان عادي.

ومرد ذلك كله إلى البعد عن الدين وعدم الالتزام بأصول التربية والتخلي عن القيم النبيلة، وترتب على ذلك البعد عن الأدب والأخلاق. ولعلنا سمعنا قول الشاعر:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي ديناً  
ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريناً

في هذا الجو انتشرت الخرافات وتكلم الناس عن أمنا الغولة، وأبو رجل مسلوخة، والعفاريات، والأشباح؛ وهذه أمور لا بد لها من علاج عند الساحر، والساحر جاهل، وناشر للخرافات، ويهتك الأعراض، ويمسب الأموال، ويحتل أعلى مكانة في الأسرة، وله كل الاحترام والتقدير عند الجهلاء. وهذا الجاهل ينصب نفسه قدوة لهم. ومع أنه سيئ الأخلاق فقد اتخذ الجهلة قدوة وقد نصّب من هم أجهل منه، لأنه لا يصلي، ويدخن، ويتعاطى المسكرات، والخمور وهذه أكبر مصيبة وأعظم كارثة أن يكون الجاهل قدوة سيئة يقتدي به الشباب وأرباب الأسر، وسيدات المجتمع، ومع أنه قدوة سيئة فهو إن صلى لا يحسن الصلاة،

وإنما يخطفها خطفًا، فليس هناك اطمئنان ولا خشوع، وإنما حركات بهلوانية تؤدي مظهرًا وتغطية للمواقف، وكيف يخشع قلبه، وجسده في الرذيلة؟! يعيش وفكره في أساليب الخداع والمكر، يخطط كيف يحسن صورته أمام المغفلين، وهو يكذب عليهم ويعلن أنه لا يكذب ولكنه يتجمل؛ وأنه لا يسرق، ولكنه يهزر، وفيه وفي أمثاله رُوي عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته. قالوا: يا رسول الله، كيف يسرق من الصلاة؟ قال: لا يتم ركوعها، ولا خشوعها؛ أو قال: لا يقيم صلبه في الركوع والسجود»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أسرق الناس الذي يسرق صلاته. قيل يا رسول الله: كيف يسرق صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها. وأبخل الناس من بخل بالسلام»<sup>(٢)</sup> إن أعظم الناس لصومية وخداعًا ولؤمًا المرع في صلاته، ولا يحسن أداءها، وهو يجلب الأذى لنفسه، لأنه تجرأ على الله وسرق من صلاته وبخل بإلقاء السلام أو الرد عليه وتكبر على الناس، وتغترس عليهم، وفيه وفي أمثاله قال الشاعر:

ذئب تراه مصلياً      فإذا مررت به ركع  
يدعو وكل دعائه      ما للفريسة لا تقنع  
هون بها إذا العلاء      إن الفؤاد قد انصدع

وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلى بالناس الظهر، فلما سلم نادى رجلاً كان في آخر الصفوف. فقال: يا فلان ألا تتقي الله؟ ألا تنظر كيف تصلي؟ إن أحدكم إذا قام يصلي إنما يقوم يناجي ربه فلينظر كيف يناجيه. إنكم ترون أني لا أراكم. إني والله لأرى من خلفي كما أرى من بين يدي»<sup>(٣)</sup> هذا وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الطبراني - ذلك لأنه وقف أمام الله: غير مؤدب وغير مهذب لأنه لم يطمئن في الصلاة.

(٢) رواه الطبراني.

(٣) رواه النسائي.

(٤) رواه الإمام أحمد.

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم. قيل: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم. قيل: أيكون المؤمن كذاباً: قال.. لا... (٣)

إن الساحر دائماً يلعب بأعصاب الناس وبهذا اللعب يسيطر على نفوسهم ويوهمهم بأنه على كل شيء قدير.. ولو كان عند الناس عقل لعرفوا أنه لو كان كذلك لرفع نفسه أولاً، وعلى الناس أن يفهموا أنه كلما ضعف الإيمان في نفوس بعض الناس، وسيطرت الخرافات عليهم اتقادوا للسحرة، وأصبحت الأسئلة عن السحر وعلاجه ورجاله وأحوالهم أكثر من ٦٥٪ من الأسئلة.

من السائلين من يقول لك: أنا معمول ليّ عمل عندما أدخل البيت أرى زوجتي كالقردة تماماً، وبعض النسوة يعكسن فيقلن: طول ما الرجل برة: البيت هادئ والأمور مستقرة؛ فإذا حضر الرجل فإن منظره كالقرد، وينقلب الأمن المنزلي إلى خوف ورعب وصياح وهياج، إلى غير ذلك من الأقاويل.

بعض الشباب يقول: أنا خطبت فتاة وكنا كويسين جداً وفجأة أصبحت تنظر إليّ نظرة مريبة، وتهرب مني. وتقول الفتاة: لقد أصبح في نظري كالخنزير وأخاف منه ولا أحب أن أراه. ومثل هذا يقول الفتى.. إلى غير ذلك من الأمور التي شاعت ورددتها الألسنة. وبعض الناس يظن أن السحر هو الأصل وما عداه فهو الفرع، ونقول للناس جميعاً: السحر أوهام وحيل وتخييل وخداع وشعوذة، وعزائم، وعقد واستعانة بالشياطين فإن الدين يحرم السحر وممارسته وتعلمه كما ورد في الحديث «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» (٤).

(٣) رواه مالك مرسلاً.

(٤) أبو داود.

## قوة الإيمان وضعفه

إن أعظم سلاح يتسلح به الإنسان ليتصر على نفسه فلا يضعف أمام هذه الخرافات؛ هو الإيمان بالله رباً خالقاً قادراً عليماً، فهو مع كل إنسان أينما كان لأنه كما يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝<sup>(١)</sup> . والإيمان هو ما قر في القلب وصدقه العمل. لهذا فإن الإيمان في القلب يزيد قوة بالعمل الصالح وطاعة الله والتمسك بهدي نبيه ﷺ، وكلما قوي الإيمان كلما اقترب الإنسان من مولاه الذي خلقه. وهو سبحانه يتولى العبد الصالح بالرعاية والعناية ولا تستطيع الشياطين أبداً أن تقترب من ساحته لأن المؤمن شعاره: ﴿ قُلْ أَعْتَزُّ بِاللَّهِ أَحْتَدُّ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝<sup>(٢)</sup> . والمؤمن يعتقد أنه لا يقع في ملك الله إلا ما أراد الله، ونقصان الإيمان يكون نتيجة لارتكاب المعاصي، وعدم أداء الفرائض والبعد عن التمسك بهدي سيد الأنعام. إن عائد الطاعة لله بلا شك لا يزيد في ملك الله. كما أن المعصية لا تنقص أي شيء من ملك الله؛ فعائد الطاعة تنمية لك واستثمار أعظم لصالحك؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۝<sup>(٣)</sup> إن الإيمان يزيد في قلوب الذين يصلحون أنفسهم ويهذبونها، ويطهرون قلوبهم من الحقد والحسد، ويعمرون القلب بذكر الله أمناء على كل شيء لا يخونون ولا يكذبون ولا يغدرون؛ لهذا يزيد الإيمان في قلوبهم حسبما قال الله سبحانه وتعالى:

(١) سورة المجادلة الآية: ٧.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٤.

(٣) سورة الزمر الآية: ٧.

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِدَايَةً إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾<sup>(١)</sup> إن أصحاب الإيـان القوي والعقيدة الصحيحة تجدهم غرباء بين الناس لأن أصحاب البدع يكثرون حولهم وتنتشر الخرافات وهم يجاهدون هؤلاء وهؤلاء. ومن هنا بين رسول الله ﷺ منزلة الغرباء في قوله ﷺ: «طوبى للغرباء، قلنا: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: قوم صالحون قليل في ناس سوء يعصيهم أكثر من يطيعهم»<sup>(٢)</sup>. إن الأتقياء غرباء لكن الله يتولاهم بالعناية والرعاية والدفاع عنهم؛ ولهذا قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾<sup>(٣)</sup> ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّا اللَّهُ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾<sup>(٤)</sup> إن المسلم الحقيقي يعيش في مجتمعه في غربة، وهو لا يفارقه لأن حب الوطن من الإيـان ولا يهجر الناس لأنه مطلوب منه أن يقدم النصيحة؛ فالدين النصيحة لكنهم غرباء، وقد جاء ذلك في حديث لرسول الله ﷺ حيث قال لأصحابه «اتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم. قيل: يا رسول الله أجز خمسين منا أو منهم؟ قال: بل منكم»<sup>(٥)</sup> فمن يصلح نفسه بقراءة القرآن والتمسك بآدابه والتحلي بأخلاقه في زمن تكثر فيه الفتن يكون من الفائزين. قال عبد الله بن الصامت وهو صحابي جليل «يوشك إن طال بك الحياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه، ونزل عند منزله لا

(١) سورة التوبة الآيتان: ١٢٤، ١٢٥.

(٢) مسند الإمام أحمد.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٧.

(٤) سورة الحج الآية: ٣٨.

(٥) رواه أبو داود والترمذي بسند حسن.

يجوز فيكم إلا كما يجوز فيكم الحمار الميت»<sup>(١)</sup> أي إن منزلة العالم القارئ للقرآن والعامل بالسنة ضائعة بين أهل زمان شغلتهم الأغاني وأهتتهم التمثيليات؛ فانفضوا عن المساجد إلى السينما والحانات. ثم إن المعروف أصبح منكراً، والسنة بدعة، وأهل البدع وتجار المخدرات يطمعون في أن يحتلوا المناصب المرموقة، ويجلسون على كراسي أهل التشريع، أما العلماء فيلقون كل عنت وإرهاق وتعنيف ولوم من أهل الباطل؛ لذلك فعرهم قصير. ولا يزال أهل الحق في جهاد ومدافعة باللين والحكمة والموعظة الحسنة من أهل الشر حتى يقضي الله أمراً؛ لهذا كان للإيمان القوي وأصحابه النصر في النهاية لأنه لا يصح إلا الصحيح، ودولة الحق إلى قيام الساعة. وصدق الله العظيم حين قال: ﴿لَا يَغْرَنكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ <sup>(٢)</sup> مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ <sup>(٣)</sup> ﴿١٧٧﴾.

إن أصحاب القلوب الطاهرة والنفوس التي سمت على الشهوات يضاعف الله لهم الأجر لأنهم مع قتلهم يتمسكون بالحق وإليه يدعون، فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لأن الله وليهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهدي قلوبهم، ويرزقهم الأمن النفسي والاجتماعي، وتطمئن قلوبهم بذكر الله القائل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ <sup>(٤)</sup> ﴿١٧٨﴾ ويقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ <sup>(٥)</sup> ﴿٢١٣﴾ وهؤلاء الذين يزيد الإيمان في قلوبهم ويقوى كلما استمعوا إلى آيات الله تتلى عليهم، ومارسوا العبادة التي فرضها الله عليهم، واستحضروا عظمة الله في نفوسهم فهم بكل هذه المقومات يزيد إيمانهم. ولهذا فإن الشيطان يهرب منهم ويفر من مجالسهم ولا يتعرض لهم، ولا يقترب من ساحتهم، ويصدق عليهم قول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ

(١) مسند الإمام أحمد.

(٢) سورة آل عمران الآيتان: ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٨٢.

(٤) سورة الرعد الآية: ٢٨.

ءَايَنتُهُر زَادتُهُم إِيْمَنًا وَعَلَى رَبِّهْم يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ ويقول ربنا سبحانه: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادتُهُ هَذِهِ إِيْمَنًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادتُهُم إِيْمَنًا وَهْمُ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٢﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فزَادتُهُم رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهْمُ كَفِرُونَ ﴿٣﴾﴾ إن القرآن الكريم حياة للروح، من جعله أمامه قاده إلى كل خير، ومن تلاه وعمل بأحكامه عاش في الدنيا سعيدًا، وعند الله محمودًا، وبين الناس وجيهاً، سمعته طيبة، يحيط به البهاء والأنوار. فإلى القرآن يا أمة القرآن حتى يذهب الخوف من نفوسكم، ويتحقق لكم الأمن، ويهيئ الله لكم من أمركم رشدًا، وترثوا الأرض وتعمروها بالعمل الجاد والإنتاج الجيد والابتكار في أسلوب الأداء. إن المؤمن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا. إن المؤمن لم يفرط في واجب لأنه جعل دنياه مطية لآخرته فأطاع ربه ووقف عند حدود الله. ثم أغنى نفسه عن الناس بالسعي على المعاش وطلب الحلال، وأخذ في الأسباب مع حسن الظن بالله والتوكل عليه، إن خير الناس من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته «فخير الأمور أوسطها» وخير الناس أنفعهم للناس»، فهم كما يقول القائل:

الله يعرفهم عباد مسجده

والناس تعرفهم للخير أعوانا

(١) سورة الأنفال الآية: ٢.

(٢) سورة التوبة الآيتان: ١٢٤ - ١٢٥.

## التائهون

ضعاف الإيـان تجدهم في ضلال وانحراف لذلك فهم تائهون في الحياة لا يعرفون لأنفسهم مستقرًا؛ فهم يعيشون في شتات وضياح لأن صلتهم بالله ضعيفة جدًا، لأنهم إذا أصابهم الضر لجئوا لغير الله واستنجدوا بغيره، واستغاثوا بمن لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الأذى، ونحن أمرنا أن ننصح هؤلاء برفق ونبين لهم الحق باللين، ونشرح لهم أصول العقيدة الصحيحة؛ فإذا لم يستجيبوا ولم يقلعوا عن عصيانهم فعلينا أن نتعامل معهم في حدود تعاليم الشريعة بالحلم وسعة الصدر والتسامح، فإن لم يستجيبوا فعلينا أن نعرض عنهم ولا نجلس معهم، وفي هذا جاء التوجيه الإلهي: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِن حِسَابِهِمْ مِن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَاهُمْ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَن تَبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّن حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ أُنذِرُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتِنَا قُلْ إِن هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ وَأَن أقيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْتَمَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾<sup>(١)</sup> فالذين اتبعوا الشيطان هم التائهون لذلك فهم على جرف يكاد أن ينهار بهم في نار جهنم، بسبب ضعف عقيدتهم، وتهاونهم في العمل بأمر الله، وهم يعيشون حالة على المجتمع، بهم وبسببهم تنتشر الأمراض ويصاب المجتمع بالعلل والوهن والضعف، وفيهم جاء قول رسول الله ﷺ: «سيكون في آخر الزمان ناس من أمتكم يحدثونكم بما لم

(١) سورة الأنعام الآيات: ٦٨ - ٧٢.

تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم»<sup>(١)</sup> وفيهم يقول الإمام على كرم الله وجهه: «يا أشباه الرجال ولا رجال ودون ربات الرجال...» وإليهم نسوق ما قاله ربنا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِن أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۚ وَإِن أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ۗ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٢١﴾ يَدْعُوا لَمَن ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۗ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ التائبون هم الذين لعب الشيطان بعقولهم وزين لهم أعمالهم وصددهم عن ذكر الله، وعن الصلاة.. وربما يقول قائل: إنهم يُصَلُّون.. نقول لهم: هم يصلون، لكن سلوكهم لا يتفق مع ما ترشد إليه الصلاة؛ فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ويكون مؤديها مهذباً مؤدباً عفاً للسان لا يفسق ولا يخون ولا يغدر، يمشي في الشارع بخلق السماء، ويتطلع إلى السماء بحسن السعي على الأرض. إن المصلي الملتزم تجده كالوردة، لونها يسهو الفؤاد وملمسها ناعم، ورائحتها طيبة تشرح الصدر وتسر النفس؛ ولهذا قال ربنا عن المصلين: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٢٣﴾﴾<sup>(٢)</sup> فالتائه بخلاف ذلك وقد عرفهم لنا ربنا بقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾<sup>(٣)</sup> ويقول سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٢٥﴾﴾<sup>(٤)</sup> وهم كما قال عنهم ربنا سبحانه: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿٢٦﴾﴾<sup>(٥)</sup> إنهم تائبون في الحياة يتخبطون في ظلمات

(١) رواه الإمام مسلم.

(٢) سورة الحج الآيات: ١١ - ١٣.

(٣) سورة الفرقان الآية: ٦٣.

(٤) سورة النحل الآية: ٨٣.

(٥) سورة النساء الآية: ٦٣.

(٦) سورة النساء الآية: ١٠٨.

الغفلة والجهل حيث إنهم اتخذوا الشيطان إمامًا لهم، فقادهم إلى الهلاك والدمار وخراب  
الذمة وموت الضمير، وهم وصلوا إلى هذه الحالة لأنهم: ﴿ أَتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا  
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup>.



## ظهورهم على الساحة

التائهون يظهرون على الساحة الاجتماعية ليضلوا الناس بحجة أنهم مسحورون، ويسألون عن السحر وأنواعه، والساحر وما يصنع. ويزعم بعضهم أنه سُحِر، لكن فلائًا شفاه بعمل عمله له وقيمة علقها تحت إبطه أو حجاب وضعه تحت رأسه إلى آخر ما هناك من أقاويل ما سمعنا بها في آبائنا الأولين. مثل «فلان الساحر كتب له حجابًا بدم هدهد يتييم»، فيرد الآخر ويقول: لا... دا فلان اللي أنا ماشي معاه عمل ليه عمل على أرموط سمك أرمّل. وهكذا، ونسى هؤلاء أنه لا يمكن أبداً معرفة الهدهد اليتيم، ولا الأرموط السمك الأرمّل، وهذا دليل كذبهم وافترائهم، ثم عليهم أن يعرفوا أن الشافي الحقيقي هو الله رب العالمين. وانظر إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو من هو في علو قدره ورفعة شأنه، وهو خليل الرحمن، لكنه مع هذا مهذب عف اللسان، ينسب الشيء إلى فاعله، فيقول كما حكى القرآن عنه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾<sup>(١)</sup> من أجل هذا نؤكد على أن السحر نوع من اللعب بالأعصاب المضطربة، والسيطرة على النفوس الضعيفة، لأن أصل السحر التمويه بالحيل والتحايل. والسحر كله خداع وشعوذة، وإذا كان السحر صناعة علمية، فهو يعتمد على التأثير في نفس المسحور، لأنه يعتمد على خفة اليدين، وتلاوة كلام من عهود الشياطين وأسماء الجن؛ فيخيف من أمامه ويسيطر عليه. وهكذا كما سوف نرى.

(١) سورة الشعراء الآية: ٧٨ - ٨٢.

## السحر وضعف الشخصية

السحر وتعلمه له مدارس؛ كل مدرسة لها منهج وأسلوب، وهذا من باب ترك الناس يتخطون ولا يبتدون إلى الحق، وهذه الأنواع تدل على كثرة الدجالين وتنوع أساليبهم، والسحر عزائم وعقد ورقى بها يعتمد الساحر على إضعاف شخصية من أمامه ويؤثر بذلك فيه، ويصاب بالوهن والضعف والتخاذل.. ويرجع السبب إلى ضعف الإيمان عند هذا الشخص، وعدم الثقة في الله، علاوة على سرعة حركة الساحر وقدرته على التأثير بالوهم فيمن يتعامل معهم، والسحر في اللغة: هو شيء خفي يظهر له أثر في الواقع أحياناً وهو يعتمد على:

الاستعانة بالشياطين بتلاوة كلمات ترضيهم يتقرب الساحر بها إليهم ويتحضرهم ليتمكن من فعله من تغيير صورته وصوته وغير ذلك. ويستعين على هذا بقراءة العزائم وتسخير الشياطين.

خداع وتخيلات تعتمد على سرعة الحركة وإيهام البعض بالقدرة على التأثير فيه.. فيتأثر من يراهم ويسيطر عليه الوهم لأنه ضعيف الإيمان.

وهناك سحر يعتمد على سرعة الحركة وإذهال الناظرين وأخذ عيونهم، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿تُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنْهَا تَسْعَى﴾<sup>(١)</sup>.

يتم فيه استخدام خواص بعض المواد الكيماوية، وتركيب آلات خاصة، بنسب هندسية معينة، كما ذكر بعض المفسرين أن سحرة فرعون الذين حشدهم لمقابلة سيدنا موسى، وجاءوا بحبال وعصي حشوها زئبقاً، وجعلوا من أسفل الحبال والعصي حرارة خاصة؛ فصارت تتلوى بسبب ذلك فخيّل إلى سيدنا موسى والناس، أن الحبال والعصي تتحرك وتسعى.

(١) سورة طه الآية: ٦٦.

سحر يعتمد على الوشاية، ونقل أخبار بعض العائلات إلى الساحر الذي يفبركها ويسعى بنقل أخبار ملفقة من عنده من القصص المبدلجة بمعرفته، ثم الإيقاع بين الناس والتحريش بينهم. وهذا النوع يعتمد على ذكاء القائم بهذا الأسلوب ولهم حيل في ذلك تتعدد بتعدد المواقف؛ فالساحر يبعث بأي شخص ليوهم شخصًا بأن فلانًا عمل له عملاً مدفونًا في القبر الفلاني ووكل به شيطانًا، ولكي تفك هذا العمل تروح للشيخ فلان، دا سره باتع وعمله لا يخيب. دا فلان كان معمول له عمل مكتوب بلبن النملة اللي تكلمت مع سيدنا سليمان، لكن هذا الشيخ فكه وبمثل هذه الخرافات والإفك يكون أسلوب الدجالين، ويستغلون في ذلك شخصيات لها وزنها الاجتماعي بعد تجنيدهم بأساليب دجل. وأذكر أنني كنت أسكن في حي ابن طولون في الستينيات، وفوجئنا في يوم بأن شخصًا نعرفه قتل زوجته، وتساءلنا كيف تم ذلك ونحن سمعنا أنه تزوجها على زوجته بعد قصة حب، وشهر العسل لم ينته بعد وكانت القصة التي عرفناها بعد ذلك هي: أن أحد الذين يارسون السحر أرسل إلى الزوجة الأولى يسألها.. إنتي بتحبي زوجك وعازياه يرجعلك ويسيب الثانية؟ - الزوجة الأولى: نعم. الوسيط: السعر غالٍ، الزوجة الأولى: وأنا دفاعة. الوسيط: هاتي المقدم - عبارة عن قطعة ذهب «غويشة» ومبلغ ٢٠٠ جنيه (مائتي جنيه).

وأسرعت الزوجة بخلع عويشة ذهب وإحضار المبلغ. الوسيط ذهب مسرعًا للساحر، الذي خطط وبسرعة ولم يضع الوقت، اختار وسيطًا آخر للزوجة الثانية وأرسل به إليها، وأفهمها بأن الزوجة الأولى عملت لإرجاع زوجها، وعلشان نفك لك العمل عازين مائتي جنيه، وأسرعت الزوجة الثانية بدفع المبلغ. أسرع الساحر إلى الزوجة الأولى يطلب مبلغ مائتي جنيه أخرى، لأن العملية صعبة جدًا، والأسياذ معصلجين، ولا بد من استرضائهم، ودفعت الزوجة الأولى. فكر الساحر وأرسل إلى الزوجة الجديدة يطلب منها شعرا من زوجها بحيث يكون من شنبه ولما سألت كيف أحصل على ذلك؟؟ أعطاهم مقصًا جديدًا وقال لها: وزوجك نائم مستغرق في نومه خذي بهذا المقص من شنبه ولو ثلاث شعرات،

فرحت الزوجة الثانية بذلك: ذهب الساحر بنفسه إلى الرجل وأفهمه بأن زوجته الثانية عملت له عملاً، وإذا لم يفلح ولم يتأثر بذلك ستقوم بقتله يوم كذا. ولما سأله من أين عرفت؟ قال: إن زوجتك الثانية تحب شاباً في مثل عمرها وتريد أن تخلص منك، وأنا لما اطلعت على برجك وقرأت نجمك تحققت من ذلك. فخذ حذرك وأعطني ثمن تعبي في قراءة النجوم والكواكب بسبيك، فأعطاه الرجل ٥٠٠ (خمسمائة) جنيه - في اليوم المحدد تناوم الرجل وأوهم زوجته أنه في غاية التعب وفي حاجة إلى الهدوء والسكون ليستغرق في النوم لأن عملاً ضخماً سيقوم به في الغد، كانت الزوجة تنادي عليه بين الحين والحين فلا يرد عليها لأنه يتصنع النوم؛ فقامت الزوجة تمشي على أطراف أقدامها، وأحضرت المقص، وعلى أطراف أصابعها توجهت إلى زوجها، وهمت بأخذ الشعر من شنبه، وإذا بالزوج يجلس ويتهمها بالخيانة والخداع ثم القتل، وأخذ منها المقص، وفي حالة هياج طعنها بالمقص في قلبها، وفارقت الحياة على الفور.. وكما يقال موت وخراب ديار.. ومين اللي كسب؟! هذا هو أسلوب الدجالين والمشعوذين والسحرة والأفاكين.

إن السحرة يفعلون أي شيء في سبيل تحقيق مآربهم، وهناك قصة أخرى لامرأة أخرى تتلخص في أن البنت بلغ سنها ٣٠ (ثلاثين سنة) وأمها تريد أن تفرح بها وعازيها تتزوج، ووقعت في يد أحد الوسطاء الذي أفهمها بأن الشيخ فلان سره باتع وعمله ما ينزلش الأرض، واستجابت المرأة وذهبت إلى الشيخ، ودفعت الكشف، وكان عبارة عن خمسة جنيهات؛ فوجدت الساحر يجلس وحوله البخور، وسمعت بعض الأصوات التي لم تميزها، ثم أفهمها بأن الأسياد يطلبون إحضار الفتاة بنفسها. وحضرت في الموعد المحدد. وكانت الفتاة جميلة، ورآها الشيخ من وراء ستار، فأفهم الوسيط أن يفهم الأم أنه لا يجوز دخول اثنين في وقت واحد، ودخلت الفتاة لوحدها، وكانت الأم تجلس مع الناس لكن مشاعرها وأحاسيسها وأذنها على الغرفة التي بداخلها الشيخ الذي كان قد أفهم الفتاة بأن الأسياد سيعملون لها حجاباً، واشتروا أن يكون الذي يكتب به الحجاب من ماء رجل صب على

فرجها، ووافقت الفتاة التي هي مخدرة الأعصاب، مغيبة الوعي، بما صبه في أذنها من عبارات، وعندما افترسها الوحش الغادر صدرت منها رنة ألم بصوت خافت التقطتها أذن الأم التي هاجت واقتحمت الغرفة، وشاهدت المنظر الذي ضاع فيه عفاف ابنتها، وأطبقت على رقبة الساحر ولم يخلصه إلا كثرة الواقفين حولها، والتقطت أذنها بعض العبارات: كلنا جرى لنا كده، وهنعمل إيه مع الأسياد اللي عايزين كده؟! لكن المرأة أسرع إلى قسم الشرطة الذي حضر ضباطه وجمعوا ما في الغرفة واقتادوا الدجال إلى القسم، وقبل أن يزوج به في السجن، تبين أنه اعتدى على أكثر من خمسين فتاة حالتهم مثل هذا الموضوع؛ فقالت الشرطة: وماذا نصنع في هذا العدد، هذه عينات لعل الناس تدرك خطورة هذا النوع من التعامل مع مثل هؤلاء الدجالين. ولهذا نؤكد على أن السحر والإيمان بالله لا يجتمعان في قلب إنسان أبداً.



## السحر قرين الإنسانية

والسحر عرفته الإنسانية منذ بدء تكوين المجتمعات وهو متعدد الخواص - كالدقة والرقية والقوة والتأثير، ولهذا قال الله في شأن السحرة: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝ (١) ﴾.

وسمي السحور سحورًا لأنه يقع في منتصف الليل مستترًا لا يراه الناس، ثم إن كل شيء جميل يسمى سحرًا، لأنه يشد انتباه أي شخص، ولهذا قال العرب عن سيدنا رسول الله ﷺ بأنه ساحر، وقالوا عن القرآن بأنه سحر، لأنه أثر في نفوسهم واستولى على عقولهم؛ فقالوا كما حكى القرآن: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ (٢) ﴾ كما قال الله سبحانه مبينًا لنا ما يقوله هؤلاء: ﴿ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ (٣) ﴾. ويقول: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ۝ (٤) ﴾، وقالوا عن الكلام الموزون والخطب المؤثرة لحسن بلاغتها ونسق كلماتها ووضوح معانيها «إن من البيان لسحرا». إن عقيدة السحر سيطرت على كثير من الناس في مختلف الأزمان والبلدان، ولهذا فقد أنشئت مدارس لتعليم السحر بجوار المعابد؛ لإضفاء صفة القدسية عليها. وكان بعض الفراعنة يعدون من مفاخرهم وضع مدارس تعلم السحر تحت رعايتهم، وإن الطالب الذي يكرس حياته لتعلم السحر وينبغ فيه يمنح درجة أدبية، وينال من المال ما يؤهله لعيشة الأمراء والقادة. ولم يكن تعلم السحر وقفًا على الذكور، بل إن الأنثى كانت تتعلم هذا النوع ويتم لها الاطلاع على الكتب الإلهية ومعرفة أسرار الكون، وتستطيع «حسب زعمهم» أن تسيطر على القوى المحركة للوجود وإخضاعها لهواها ودفع عناصر الشر عن تشاء. ولقد

(١) سورة الأعراف الآية: ١١٦.

(٢) سورة يونس الآية: ٧٦.

(٣) سورة هود الآية: ٧.

(٤) سورة القمر الآية: ٢.

أطلق الرومان اسم «معبودة السحرة» وربة السحرة على «إيزيس» التي اعتبروها حامية السحر ومعلميه ومتعلميه.

كما أن بعض الرسومات في المعابد المصرية والتماثيل تظهر الملكة وهي تضع ذراعها على كتف الملك أو خلف ظهره.. وعللوا ذلك بأن الملكة تعلمت السحر، لذلك فهي ملازمة للملك في زيارته الميدانية لمرافق الدولة، أو في زيارته المعابد وتجلس بجواره على كرسي العرش، لتحافظ عليه من السحرة، في نفس الوقت تصدر تاجه رسم الأفعى، تحميه من كل عين شريرة تحاول أن تحسده، وكذلك تحميه من أعدائه، وتحقق له النصر عليهم. ولقد دخل السحر في حياتهم الدينية والدنيوية وأصبحوا يستعملونه في كل أمر من أمور حياتهم ويستعينون به في كل شأن من شئون حياتهم. ثم إنهم مارسوا السحر بكل أنواعه وكافة اتجاهاته. مثل.. تعليق الحجاب تحت الإبط أو تحت الرأس في مكان النوم وهو مليء بالطلاسم.. وقراءة التعاويذ.. والتعزيم بكلمات مبهمة لتحريك الشياطين، ومزاولة الحركات البهلوانية، ويعبرون عنها بأنها طقوس السحر، وتعليق الأحجية والتنجيم، وقراءة الطالع وقراءة الكف، وضرب الودع وقراءة الفنجان وتبييت الأثر، والربط بين الفلك وتحضير الأرواح كما هو الآن، مثل حظك هذا اليوم، وبختك هذا اليوم وتتبع قراءة البرج، وفتح المنديل الذي يفعله الآن بعض الناس، له أثر عند من مارسوا السحر قديماً، حيث إنهم كانوا يملئون وعاء.. ماء.. ثم يغطى بطبقة من الزيت، ثم يجلس الساحر يتلو عليه الترانيم والتعاويذ فيظهر عليه الإله «حورس» - على حسب زعمهم - ويعكس على وجه هذا الطبقة بعض الصور ويسأل المنجم أو الساحر عن الشيء المسروق أو الحبيب المهاجر. أو... أو... إلى آخر ما يخلو لهم.. وتحضير الأرواح في زماننا هذا يظهر بين الحين والحين، ويتبنى هذا الموضوع شخصية أدبية، أو ثري، أو غير ذلك؛ مما يدل على تواصل الأجيال في الخرافات والخزعات. وهناك النفاثات في العقد، وقد أمرنا الله أن نستعيد منهن لأنهن سواحر يعقدن العقد وينفنن في كل عقدة فقال الله مبيئاً لنا شرهم: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِقٍ

إِذَا وَقَبٌ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٦٧﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٦٨﴾ (١) ولا شك أن هناك أمورًا تستجد وتستجد معها مسميات جديدة لكن لها ارتباط بمسيرة الدجل والخرافات في حياة البشر فعلينا أن نتنبه إلى أنه تتعدد الأسماء والحكم واحد.



## معارف قديمة

إن السحر قرين الإنسانية، عرفته منذ قدم العصور، ولم يستطع المؤرخون أن يحددوا مبدأ ظهوره. ويقولون بأن السحر أول ما ظهر في مصر أنشئت له مدارس بجوار مدارس الكهنوت فقد كان ملوك الفراعنة يعدون من مفاخرهم وضع تلك المدارس تحت عنايتهم، ويشملونها برعايتهم، «فنجد مثلاً - «سنفرو»، و«خوفو» ضما إلى ألقابها لقب «رئيس السحرة» وكان الطالب الذي يكرس حياته لدراسة السحر ويحصل على درجات التفوق والنبوغ يحمل لقب «شرحب» أي الدارس الذي عرف أسرار الكون، واطلع على الكتب الإلهية، ورضي عنه الإله «تحت» ومنحه ما يمكنه من معرفة الأسرار التي بها يستطيع السيطرة على القوى المحركة للوجود، ودفع عناصر الشر، وإخضاع ذلك لصالح البشر. وكان من يمنح ذلك يختبر بين الحين والحين أمام فرعون فإذا ظهر نبوغه أمر له بمكافأة، ثم يعطى تصريحاً بممارسة السحر رسمياً، ولقد تعددت مدارس السحر في مصر، ففي عين شمس كانت جامعة «أون»، «أوبيدوس»، وفي أخميم في الوجه القبلي كان معبد «خنت مين»، «وسايس» و«طيبة» و«سيوة» ثم ظهرت مدارس في الإسكندرية وندرة، ثم ظهرت في عهد البطالسة مدارس ومعابد «إيزيس»، وكانت حامية للسحر والسحرة، وقد أطلق عليها الرومان «إلهة رب السحر ومعبودة السحرة» وقد سيطرت عقيدة السحر على قداماء المصريين كسيطرة العقائد الدينية؛ فكانوا يتعينون بالسحرة في كل شئونهم. والسحرة كانوا يبارسون أنواع السحر بمختلف صورته التي عرفها العالم، مثل «التعاويد» و«التعزيم» وكتابة الأحجية «الرقى» «التائم»، كما مارسوا تحضير الأرواح، قراءة الطالع، البروج السماوية، قراءة الكف، كشف الغيب عن طريق وعاء حورس المقدس، وهو وعاء يملأ بالماء ويغشى بطبقة من الزيت يتلو عليه الساحر تعاويذه الخاصة؛ فيظهر الإله حورس على شكل ضوء على سطح

الزيت ويعكس على السطح صورة ما يسأله الرائي عن بعض الأمور الغيبية وعن الأشياء المسروقة ومن السارق، أو أين خبأها، ويكشف الأسرار، وهذا ما يسمى في عهدنا «بالمندل» وكل هذا التعدد ليجد كل شخص بغيته، ويذهب إلى من يستريح للتعامل معه.



## معبدا هليوبوليس ومنف

هما معبدان من المعابد الكبيرة، حكّت عنهما بردية «روستكار» وكان في الأسرة الخامسة يذكر شيئاً عن المسحرة من الكهنة وأفعالهم؛ حيث كان الكاهن «جدي» أحد سحرة معبد هليوبوليس، يجمع بعض الطيور ويدخل بها في القاعة الكبرى التي يجلس فيها فرعون ويقوم بقطع رءوس الطيور، ثم يتلو عليها تعازيم سحرية؛ فتلتحم الرءوس بأجساد الطيور، ثم تحلق في الغرفة وهي تصيح.

نفس الكاهن أحضر ثورًا كبيرًا وقطع رأسه فسقط على الأرض وهو يخور ثم تلا عليه عزائمه السحرية، والعجب أن الملك وحاشيته وأولاده يجلسون ويشاهدون، والثور بعد قطع رأسه يقوم ويخرج خلف الساحر الذي ما زال يقرأ الترانيم. ويذكرون بأن سيدنا إبراهيم «عليه السلام» أقام في هذا المعبد بعض الوقت خلال فترة تواجده في مصر ودرس الكثير من أسرارهم. وفي منف حيث معبد «بتاح» اشتهر كهنته بعملية الاختفاء والإخفاء؛ حيث كان الكاهن يحمل تيممة أطلق عليها اسم «عصا بتاح السحرية» ثم يقرأ بعض التعاويذ فيخفي جسمه عن العيون. وأحيانًا يظهر في وسط غرفة مغلقة يفاجئ الجلوس فيها بتواجده معهم. وبعض الكهنة لديه القدرة على إخفاء بعض الأشياء الموجودة أمام الناس بالقاعة، وبعضهم لديه القدرة على فتح الخزائن السرية وأخذ أشياء منها. أما سحرة معبد آمون «بسيوة» فقد اشتهروا بتحريك تماثال آمون من مكانه، وتطرح عليه الأسئلة فيجيب عنها، ويقولون بأن الإسكندر الأكبر زاره وأجروا أمامه طرح بعض الأسئلة وسمع الإجابة عنها.

ويزعمون بأن التمثال تحرك وأومأ برأسه وأشار للإسكندر برفع يديه ثم وجه إليه الكلام قائلاً له: «إنك ابني وقد أعطيتك الشجاعة وأمرتك أن تحضر دائمًا لزيارتي، وقد منحتك السيطرة على كل البلاد». ومن هنا أله المصريون الإسكندر واعتبروه ابنا لآمون. «ولا شك أن الشيطان وراء كل ذلك» وهو أوهام وتخيلات. وفي منف أيضًا كان هناك معبد آخر

لأمون، ساحره العظيم يسمى «جاجام عنخ» يحكي «وستكار» وهو كاتب بردية، ذكر فيها قصة الأميرة (مروي) التي خرجت تنزه مع الملك «سنفرو» وقد ركب وإياها سفينة ذات مقصورة ذهبية والذي قام بالتجديف عشرون وصيفة من أجل بنات القصر يتميزن بالحسن الرائع والجمال الفائق، ولا يستر أجسادهن إلا غلالات من شباك الصيد، وهناك أنغام القيثارة تصل إلى أذن الجميع حتى العبيد، والقمر يرسل بأشعته الرائعة؛ فيكب المكان جمالاً على جمال، وبينما الأميرة تأخذ من ماء البحيرة بيدها، وتنظر إلى جمال وجهها وهي معجبة بنفسها، لأن وجهها على وجه الماء مع ضوء القمر زادها حسناً؛ فكانت في نشوة غامرة، وتحركت وتميلت وهي مسلوقة اللب، مبهورة بهذا المنظر الرائع؛ إذ سقط قرطها في البحر، وكان على شكل سمكة من الذهب الخالص المحلي بالفيروز، وتغير الموقف وظهر الحزن على وجه الأميرة، وانقلب الوضع؛ فقال لها «سنفرو»: لا تراعي واستدعي الساحر «جاجام عنخ» فتلا عزائمه السحرية وضرب سطح الماء بعصا، ويزعمون أن البحر انشق وانكشف قاع البحر ووقف الماء وظهر القرط، وأن الأمير «سنفرو» التقطه بنفسه وسلمه للأميرة التي فرحت وعادت إليها البهجة وظهر السرور عليها أمام الساحر «جاجام عنخ» الذي رضي عنه الأمير ومنحه مكافأة كبيرة وعينه ساحراً خاصاً لقصره، ومنحه امتيازات كثيرة.

إن الذي يقرأ البرديات يعيش في خيال، كأنه يقرأ ألف ليلة وليلة، وإن من البيان لسحراً؛ فسحرونا بالبيان، حتى كدنا نصدق ونقع في سحر بيانهم، ونلغي عقولنا - لماذا؟ لأن الحق سبحانه وهو أصدق القائلين بين لنا أن السحر وهم وخداع وتمويه فقال سبحانه: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَجِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاجِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (١) (٢).

(١) سورة طه الآية: ٦٩.

(٢) يراجع في ذلك جولات في رحاب التاريخ لمؤلفه حسين فوزي والصادر عن مكتبة الأسرة عام ١٩٩٧.

## ما هو السحر؟

الحكم على الشيء فرع من تصوره. ولكي نحكم على السحر؛ فعلينا أن نتصوره وأن نتعرف عليه؛ ما حقيقته؟ وما هو؟ وما تأثيره؟ حتى يكون حكمنا صحيحًا لما قرأناه، قبل؛ فالسحر هو شعوذة وتمويه وحيل، وعزائم وعقد ورقى، يعتمد على الخداع والتخيلات والاستعانة بالشياطين وتسخيرهم والتقرب إليهم بما يرضيهم حتى يتحضرهم الساحر في الوقت المناسب، ويطلب منهم ما يشاء. وللعرب في السحر خيال واسع فكانوا يعتقدون أن السحر يقلب الأعيان وأطلقوا السحر على الخديعة. وقال شاعرهم لبيد:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصفير من هذا الأنام المسحر

وقالت قريش لما رأوا معجزات النبي ﷺ «إنه ساحر» وقد عبر القرآن عن ذلك كما ذكر ربنا جل جلاله: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ﴾<sup>(١)</sup>. وذكروا أنه كان عند الوليد بن عقبة ساحر، واجتمع الناس عليه وكان بارعًا في حيله والأعيبه، وأنه كان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به ويعزم فيعود إلى حالته التي كان عليها، وأن رجلاً من الصالحين رآه فخاف على الناس أن يفتنوا به، وفي يوم كان الساحر يلعب والناس في شدة الانبهار؛ فأخذ هذا الرجل سيفه وضرب الساحر على عنقه، ووقع على الأرض؛ فقال الرجل الصالح إن كان صادقاً فليعد كما كان خاصة وأن روحه ما زالت في جسده، ثم تلا الرجل قول الله تعالى: ﴿أَفْتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۗ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم إننا لم نسمع أبداً أن أحد الصحابة طار في الهواء، ولا أكل زجاجاً، ولا أشعل النار في فمه، ولا ابتلع ثعباناً، لأن هذه كلها أعمال بهلوانية مبنية على الخداع والتمويه وصدق الله العظيم في قوله: ﴿قَالَ أَلْقُوا ۗ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ

(١) سورة القمر الآية: ١، ٢.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٣.

عَظِيمٍ ﴿١﴾ وكل هذا مبني على التخيل والألاعيب ولهذا قال الله سبحانه.. في سحرة موسى: ﴿فَإِذَا حَبَّأْتُمْ وَعَصَيْتُهُمْ تُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (٢). إن السحر تمويه وتخيل ووهم. ولذلك تقول العرب «عنز مسحورة» إذا عظم ضرعها وقل لبنها أي ينخدع الإنسان في كبر حجم ضرعها، بينما لا لبن فيها - والإنسان إذا مرض بمرض لا يعرف سببه نسبوه إلى السحر - ولذلك قال الشاعر:

فوالله ما أدري وإني لصادق أداء عراني من حبابك أم سحر

فالشاعر يقسم بأن المرض الذي ألم به لا يعلم هل هو من حبه لحبيته أم هو سحر انتابه. ويجدر بنا أن نقف لتتعرف على السحر كما جاء في قواميس اللغة العربية.



(١) سورة الأعراف الآية: ١١٦.

(٢) سورة طه الآية: ٦٦.

## تعريف السحر

قال في مختار الصحاح<sup>(١)</sup>:

(السحر) كل ما لطف مأخذه، ودق، فهو سحر و(سحره) أي خدعه.

وقال في المعجم الوسيط<sup>(٢)</sup>:

(السحر) كل أمر يخفي سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع.

وقال في القاموس المحيط<sup>(٣)</sup>:

(السحر) كل ما لطف مأخذه ودق.

وقال الأزهرى<sup>(٤)</sup>:

(السحر) هو عمل يتقرب به من يباشره إلى الشيطان وبمعونة منه - وقال أيضًا: أصل

السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر يبني رأيه الباطل ويبينه في صورة الحق (ويتخيل الرائي) الشيء على غير حقيقته لهذا يقال سحر الشيء عن وجهه (أي صرفه عنه).

(١) مختار الصحاح ص ١٢٢.

(٢) المعجم الوسيط ج ١ - ص ٤١٩.

(٣) القاموس المحيط ج ٢ - ص ٤٥.

(٤) لسان العرب ج ٤ - ص ٣٤٨.

## من أقوال العلماء

يقول ابن خلدون رحمه الله<sup>(١)</sup>:

السحر إنما يكون بالتوجه إلى الاستعانة بالشياطين، وذلك عن طريق تتبع الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية، والتقرب إلى الشياطين بكل أنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل، وكل ذلك من الأشياء الفاسدة التي تؤدي إلى الكفر والطرده من رحمة الله؛ لهذا كان السحر كفرًا، وتعلمه والتصديق به وممارسته كفر.

وقال القرطبي رحمه الله<sup>(٢)</sup>:

ذكر الغزنوي الحنفي في عيون المعاني (إن السحر أصله طلاسمني بيني على تأثير الكواكب، كتأثير الشمس في زئبق عصي سحرة فرعون، أو تعظيم الشياطين ليسهلوا ما عسر. ثم قال: إن من السحر ما يكون بخفة اليد كالشعوذة، ومنه ما يكون كلامًا يحفظ، وقد يكون من عهود الشياطين، ويكون بنوع من الأدوية واستعمال الأدخنة وغير ذلك).

وقال العلامة ابن قدامة في المغني<sup>(٣)</sup>:

السحر هو عقد ورقى، وكلام يتكلم به أو يكتب، أو يعمل شيئًا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل وما يُمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يُبغض أحدهما إلى الآخر، أو يجب بين اثنين.

(١) المقدمة لابن خلدون ص ٤٩٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٤٤.

(٣) المغني لابن قدامة ج ١٠ ص ١٠٤.

وقال في فتح المجيد<sup>(١)</sup>:

قال في الكافي: السحر عزائم ورقية وعقد، يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۗ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

والإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه، يشتهي ما يضره، ويتلذذ به ويعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه ويضيع ماله. والشيطان نفسه خبيث، فإذا تقرب إليه صاحب العزائم بما يرضيه وبما يجبه من الكفر والشرك صار ذلك كالرشوة للشياطين، فيقضون له بعض أغراضه كمن يعطي غيره مالا ليقتل له أو يعينه على فاحشة، أو ينال معه فاحشة. ولهذا فإن كثيراً من أعمالهم يكتبون فيها كلام الله عز وجل بالقلوب، ويكتبون حروف الفاتحة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وغيرهما بنجاسة كدم الحيض، أو يكتبونها بالقلوب، وإما بغير نجاسة مما يرضاه الشيطان، ويتخذ الدجال والساحر صديقاً. فإذا قالوا أو كتبوا ما ترضاه الشياطين أعانتهم على بعض أغراضهم. إما بتغوير ماء من المياه، وإما أن يحمل في الهواء إلى بعض الأمكنة، وإما أن يأتيه ببال من أموال بعض الناس من الفسقة واللصوص، لأن الشياطين تسرق من أموال الخائنين الغشاشين المزورين، وكذلك الذين لم يذكروا اسم الله على أموالهم، وتأتي بهذا المال إلى الدجالين وإلى غير ذلك.

(١) فتح المجيد ص ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٠٢.

وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة من وقعت له مما يطول حكايته عنهم فإنها كثيرة جداً) أ. هـ<sup>(١)</sup>.

مما سبق يتبين أن طريقة السحر عبارة عن عقد شركي كُفري يقوم الساجر بموجبه بأمر ترضي الشيطان، من تعظيم له، وذبح لغير الله، واستعانة بكبراء الجن ومردتهم، وسب لدين الله، وامتهان للقرآن الكريم، وبغض لسنة سيدنا محمد ﷺ، إلى غير ذلك من أمور تبعد الشخص عن ربه وتقربه من الشيطان اللعين.

ولهذا فإن الساحر منهم يطلب من الشياطين أن يفعلوا كذا أو كذا فيقومون بتلبية طلبه أو يحققون له بعضه. والناظر في الطلاسم والأعمال التي يقوم بها السحرة يجدها كما أسلفت أفعالاً، وأقوالاً شريكية أو كُفرية فمنهم من يكتب ألفاظ القرآن مقلوبة، أو يكتب بعض كلمات القرآن ويدرج بينها حروفاً مقطعة، أو رموزاً للشياطين والكواكب، أو أسماء لبعض مردة الجن، فإذا قدر الله سبحانه وتعالى نفعاً أو ضرراً لإنسان كان، وإن لم يشأ لم يكن مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>.



(١) كتاب الجن لابن تيمية ص ٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٠٢.

## السحر فنون

الساحر له أسلوب في تعلمه وممارسته وطريقة في أدائه وفنون يمارسها البعض، وللسحر ضروبه وأنواعه؛ مما دفع باليهود أن يلهثوا وراءه ويتعلموه ويتركوا كتاب الله وراء ظهورهم من أجله بل كتبوا بأيديهم كتباً أحلوا فيها السحر والترغيب في تعلمه ثم زعموا أنها من عند الله وهو الذي فضح أمرهم وبين لنا بعض جرائمهم وقال سبحانه: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾﴾<sup>(١)</sup>. والسحر أنواع، وهو يعتمد على الأساليب التعليمية وقلة قليلة هي التي تعرف السحر على أصوله، لأن الساحر يعتمد على أساليب من بينها السيطرة على نفوس من يقصدهم ليعمل لهم الأعمال. ومن أنواع السحر الاستعانة بعالم الجن، ومن السحرة من يعتمد على المهارة في بعض العلوم، يظنها الجهلة سحراً، لأن الساحر يدخل اللبس على العيون والأبصار، ومنه ما يكون أثراً على استعمال بعض الكيماويات، وكذلك استغلال جهل بعض الأشخاص وضعف نفوسهم، واهتزازاً عصبياً عند الآخرين، وتوتراً، ومنه ما يكون قلباً وتغيراً للأشياء؛ فيكون أمراً غريباً يشبه الأمر الخارق للعادة، وليس كذلك لأنه يمارس ما تعلمه، ثم يجري تجاربه، ويستعين على تحقيقها باستخدامه للشيطان بعد مدحه وترديد ألفاظ الشرف التي ترضيه. وقد يتقرب الساحر إلى الشيطان بعبادة الكواكب، واستحسان كل ما يوجب التقرب إليه، ولهذا كانت نفس الساحر خبيثة شريرة تعيش على ارتكاب الفواحش، وإتيان الرذائل وفعل كل شيء قبيح، ولهذا ضرب الله مثلاً على السحر بأن من يمارسه يفرق به بين المرء وزوجه، إشارة إلى فظاعة هذا الفعل وغلظة قلب فاعله وموت ضميره، لأن الشيطان يفرح جداً بأي خلاف ينشأ بين زوجين، لما يترتب على ذلك من فتح أبواب كثيرة من الشر، فأيمان الطلاق تتردد والأولاد يشردون ويُهمل

(١) سورة البقرة الآية: ٧٩.

شأنهم وكل من الزوجين يتمسك برأيه ويتعصب التعصب البغيض؛ ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الشيطان ليضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه للناس، فأقربهم منه منزلة أعظمه عنده فتنة، يجيء أحدهم فيقول: ما زلت بفلان حتى تركته وهو يقول: كذا، وكذا فيقول إبليس: «لا» والله ما صنعت شيئاً» ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله. قال: فيقربه ويدنيه ويلتزمه ويقول: نعم أنت»<sup>(١)</sup>.



(١) رواه مسلم.

## حصن نفسك

وإذا كان السحر قد نشأ مع الإنسانية وتطورت أساليبه وتعددت أنواعه، فإن الشيطان الرجيم وراء كل ذلك، لأنه يُعلم أصدقاءه من الإنس من الأساليب ما يتلاءم مع التقدم الفكري والنمو العقلي والازدياد السكاني.. ما يكون سبباً في إقناع الجهلة بهذا النوع، ولهذا نبهنا ربنا جل في علاه بأن الشيطان لنا عدو مبین. والحق سبحانه وتعالى يبين لنا أن يوم القيامة آت لا ريب فيه، وفي هذا اليوم يكون هناك عتاب بين الإنس والجن ممن تعلموا الفساد من بعضهم، وأن كل فريق يرمي بالتهمة على الفريق الآخر، ويحكي لنا القرآن هذا الموقف فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَوَلَعْنَا أَوْلِيَاؤُنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالِ أَلَنَاءُ مَثُونُكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ (١) وهؤلاء الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يرمون بجريمة إضلالهم على الشيطان الملعون السفیه الأول في الكون كله، وهذا ما قاله فريق من الجن، فقد قالوا كما حكى القرآن على لسانهم: ﴿ وَأَنْتُمْ كَانْتُمْ يَقُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٢﴾ ﴾ (٢) لذلك يقول هذا السفیه رداً على ذلك ليرى نفسه ويبعد تهمة الإضلال عنه: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّيَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (٣). هذا موقف الشيطان الذي له في الدنيا - بيتان - بيت أصغر وهو جسم الإنسان؛ فالشيطان يتخذ جسم

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الجن الآية: ٤.

(٣) سورة إبراهيم الآية: ٢٢.

الإنسان بيتاً له حيث ينام على أنفه ويلتقم قلبه ويبول في أذنه؛ فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً نام ليلة حتى أصبح فقال صلى الله عليه وسلم: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه»<sup>(١)</sup> وبال في كذا أي أفسده؛ فهذا كناية عن استيلاء الشيطان عليه واستخفافه به وإفساده له وفي حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة؛ عليك ليل طويل فارقد. فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»<sup>(٢)</sup> ويقول عليه الصلاة والسلام «إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليتثر ثلاثاً فإن الشيطان قد بات على خيشومه»<sup>(٣)</sup> فالشيطان يحاول أن يجعل الإنسان بيته يستولي عليه ويوجهه حتى يكون من تلاميذه؛ والشيطان يعتبر الإنسان تلميذه؛ لذلك فهو لا يفارقه أبداً حتى إذا دخل دورة المياه فإنه يحاول أن يلعب بمقعده من باب السخرية منه والاستهانة به، ففي الحديث الشريف «من أتى الغائط فليستر فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيراً فليستدبره؛ فإن الشيطان يلعب بمقاعد ابن آدم، من فعل ذلك فقد أحسن ومن لا يفعل فلا حرج»<sup>(٤)</sup> المهم أن الإنسان لا يرفع ثيابه إلا عند دخول دورة المياه والاقتراب من مكان قضاء الحاجة وهو يتعوذ بقوله «بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الحُبث والحَبائث»<sup>(٥)</sup> والحُبث ذكور الشياطين والحَبائث إناثهم. كذلك إذا خلع الإنسان ملابسه عليه أن يردد ما علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم «ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم أن يقول المسلم: بسم الله الذي لا إله إلا هو»<sup>(٦)</sup>.

(١) حديث متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري ومسلم.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) رواه البخاري.

(٦) رواه الإمام أحمد.

والبيت الثاني للشيطان - وهو بيت كبير - منزلك أيها الإنسان لأن الشيطان أخذ على نفسه عهداً أن يلاحق ابن آدم في كل طريق وفي أي مكان حيث قال في تبجح: ﴿ثُمَّ لَا تَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (١)

ولما كان الشيطان يحتل بيتك وأنت لا تراه، وهو يراك؛ فتحصن منه بقوة الإيثار وبذكر الله سبحانه؛ ولذا علمنا رسول الله ﷺ ما يأتي: عند دخول المنزل نقول ما وجهنا إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ها هنا.. وإن دخل ولم يذكر الله عند دخوله.. قال: أدركتم المبيت.. وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء» (٢) وبنه الرسول ﷺ للمسلمين بأنه «إذا جنح الليل.. فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ؛ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم وأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله؛ فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكثوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمروا آتيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم» (٣) والشيطان وهو في البيت يشارك الإنسان في كل شيء، في الأكل والشرب حتى عند لقاء الزوج بزوجه؛ لهذا قال الرسول ﷺ «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني، فإن كان بينها ولد لم يضره الشيطان، ولم يسلط عليه» (٤) إن المسلم إذا أراد أن يحقق لنفسه السعادة ويتحصن بالله من الشيطان الرجيم وإبليس اللعين، فعليه أن يتعمل مفتاح السعادة وهو «بسم الله الرحمن الرحيم» فهي مفتاح كل عمل ناجح وبركتها يحفظ الشخص من الإهمال والتعطل، وإنه ينبغي للمسلم أن يحرص على أن يبدأ كل شيء بسم الله الرحمن الرحيم. وإذا أردت أن تكون البركة معك والنهاء تحت قدميك، والتوفيق يصاحبك، فابدأ كل حركة وسكنة بذكر الله،

(١) سورة الأعراف الآية: ١٧.

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه البخاري.

(٤) رواه البخاري.

واستعن بالله، حتى عند دخولك إلى بيتك فقل «بسم الله. ثم سلم على أهل البيت.. السلام عليكم ورحمة الله»، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾<sup>(١)</sup> إن الشيطان مهما بلغ من قوته وجبروته وسطوته وسلطانه وكيده وكثرة أتباعه، فإنه أضعف من الضعف أمام الشخص قوي الإيمان، الذي عنده ثقة في ربه ويعتمد عليه، لذلك فهو لا يغفل عن ذكر الله، فقلبه مطمئن، وهو يستعين دائماً بالصبر والصلاة، ويسد على الشيطان منافذه في جسده، بكثرة الصيام فدخل بذلك في زمرة عباد الله المخلصين الذين قال الله عنهم لإبليس الملعون: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> إن ذكر الله هو السياج الواقي والحصن القوي الذي لا يستطيع الشيطان أن ينفذ منه إلى قلب المؤمن الذاكر لله ولأن الشيطان قال لله سبحانه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٣)</sup> إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ<sup>(٤)</sup> من هنا نجد الشيطان أمام هؤلاء الأتقياء الأصفياء أضعف من الضعف وقد بين الله ذلك بقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾<sup>(٥)</sup> بينما يبين الحق سبحانه كيد النساء بأنه عظيم فيقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup> ولما كان الشيطان ضعيفاً أمام المؤمن، فإن على كل شخص أن يحصن نفسه بحفظ القرآن، وبذكر الله، وبذلك تغلق أمام الشيطان كل باب يدخل منه إلى نفوسنا أو يحتل بيوتنا، فإذا وجدك الشيطان قوى الإيمان ضعف أمامك ووهنت قواه؛ فتمسك أيها الشخص بدينك، وكن قوي الإيمان، لأن قوة الإيمان هي الصخرة التي يتحطم عليها كيد الشيطان وطوبى لعبد يزيد إيمانه بالعمل الصالح، وحسن الطاعة لله؛ فإن هموم الحياة ومصائبها تهون عليه لأنه وقر في قلبه أنه لن يقع في ملك الله إلا ما أراد، لهذا

(١) سورة النور الآية: ٦١.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٦٥.

(٣) سورة ص الآيتان: ٨٢، ٨٣.

(٤) سورة النساء الآية: ٧٦.

(٥) سورة يوسف الآية: ٢٨.

كان الإيمان القوي أماناً من كل شيء، أماناً في الدنيا، وأماناً في الآخرة، وأماناً للنفس وللأهل وما تمتلك. أما من عاش بلا إيمان فلا يصلي ولا يدعو الله، ولا يلجأ إليه، فقد اختار الضياع لنفسه ولن حوله، وفي هذا قال الشاعر محمد إقبال:

إذا الإيمان ضاع فلا أمان      ولا دنيا لمن لم يحي ديناً  
ومن رضي الحياة بغير دين      فقد جعل الفناء لها قريناً

ولكي يحفظك الله من الشيطان وأعدائه.. أكثر من الاستغفار.. وأكثر من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وحافظ على تأدية الفرائض والنوافل؛ فبذلك تقترب من ربك، ويتعد عنك الشيطان، وترزق التوفيق؛ فإن خير ما يصعد إلى السماء العمل الصالح المتوج بالإخلاص، وخير ما ينزل من السماء التوفيق، وعلينا أن نحسن بيوتنا بقراءة سورة البقرة؛ فقراءتها لا تحتملها الفجرة من السحرة، ولا تطيقها البطلة من الشياطين؛ فهي لا تستطيع الاستماع إليها، ولا تقدر الشياطين على النفاذ منها. ولذا ورد في الحديث «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»<sup>(١)</sup> وفي الحديث الآخر «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»<sup>(٢)</sup>. حصن نفسك بالإيمان، وحصن أولادك بإطعامهم من حلال، وصل نفسك بالله عن طريق المراقبة له؛ فإن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإن يقينك القوي، بأنه يراك، وهو معك بقوته وحوله وإرادته ومشيئته؛ فاستعن بالله ولا تعجز، واعلم أن الناس جميعاً لو أرادوا أن يكدوا لك ويسحروا لك فإنك بالله أقوى منهم، وإنك محصن بالحصن الواقعي الذي ينكر عليه جبروت الشيطان وأوليائه.. وصدق الله العظيم حين قال: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطُّغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٠﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٥٧.

## أكبر دليل

لكي يتبين لك صدق ما قلناه من أن الإيمان هو أقوى سلاح يتسلح به المؤمن ضد السحر وضد الشيطان ما حدث لسيدنا موسى عليه السلام.. لأن الله سبحانه اختار موسى نبياً وقال له: ﴿أَذْهَبْ إِلَىٰ قِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿١﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَهُ ﴿٢﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ ﴿٣﴾ (١) وكل نبي له معجزة من جنس ما نبغ فيه، من سيء إليهم، والناس في زمن موسى عليه السلام نبغوا في السحر وتفننوا فيه وكانت عندهم مدارس يتعلمون فيها الحيل كلها، من خفة اليد وسرعة الأداة. وكان يحكم مصر قبل بعثة موسى عليه السلام فرعون حاكم ظالم فاسد، ومن حوله حاشيته وبطانته أسوأ منه، وكانوا جبابرة ظلمة؛ ففرعون ادعى الألوهية وقال لشعبه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿٤﴾ واستخف بعقول شعبه وقال لهم: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٥﴾ (٢) لهذا نجد أن سيدنا موسى تخوف من فرعون وقال لربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ ﴿٦﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿٧﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾ ﴿٨﴾ (٣) وهنا قال الله لموسى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ ﴿٩﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَمْتِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ ﴿١٠﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ﴾ ﴿١١﴾ فَأَلْقٰهَا فإِذَا هِيَ حِجَابٌ مَّسْنُونٌ﴾ ﴿١٢﴾ (٤) وموسى عليه السلام عندما رأى عصاه تحولت إلى حية هم بترك

(١) سورة النازعات الآيات: ١٧ - ١٩.

(٢) سورة النازعات الآية: ٢٤.

(٣) سورة الزخرف الآية: ٥١.

(٤) سورة القصص الآيات: ٣٣ - ٣٥.

(٥) سورة طه من ١٧ - ٢٠.

المكان، لكن الله أمره بقوله: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۗ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا اتَّخِفُ لَدَىٰ الْمُرْسَلِينَ ۗ ﴾ (١).

عرف موسى أنه يحمل أمانة الرسالة، ولا بد من التبليغ وهو مؤيد من رب العالمين. وإذا كان الله معك لا تخف من أحد، فالله يردك ويحفظك ويفتح لك الأبواب المغلقة، لأنه كما قال ربنا جل في علاه: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۗ ﴾ (٢) توجه سيدنا موسى عليه السلام ومعه سيدنا هارون وقال الله لهما: ﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۗ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۗ ﴾ (٣) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ۗ ﴾ (٤) قَالَ لَا تَخَافَا ۗ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۗ ﴾ (٥) واستجابا على الفور وسيدنا موسى عليه السلام مزود بسلاحين هما:

العصا التي تنقلب إلى حية ثم تعود كما كانت.

كان يدخل يده في جيبه تخرج بيضاء كقرص الشمس.

ولقد قلنا بأن السحر كانت له مدارس يشرف عليها الكهنة والمنجمون، وقد استطاعوا أن يستولوا على عقل فرعون ومشاعره، فهو تحت سيطرة السحرة. وهاهو موسى رسول الله ومعه هارون يدخلان إلى قصر فرعون الذي شيد على أحدث ما وصل إليه فن المعمار، والحراس تحيط به من كل جانب، والوزراء والقادة والأمراء يجلسون في حضرة فرعون حاكم مصر، والذي ادعى الألوهية وهم يعظمونه ويسجدون له ويعنون الولاء له صباح مساء. ولم يشعروا إلا وموسى يتوجه بالكلام إلى فرعون ويقول له بلغة الواثق الآمن أنا وأخي

(١) سورة النمل الآية: ١٠.

(٢) الطلاق الآية ٢، ٣.

(٣) طه الآيات من ٤٣ - ٤٦.

هارون نقول لك: ﴿ إِنَّا رَسُولًا رَّبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَىٰ ﴿٤٧﴾ ١﴾ والقارئ الكريم عليه أن يرجع إلى سورة الأعراف، وسورة طه، وسورة القصص، وسورة الشعراء وسيجد متعة رائعة في الحوار الذي دار بين سيدنا موسى وفرعون، وأن سيدنا موسى كان يردد دائماً «ربك» لتكون هي الدليل القوي على أنك يا فرعون لست برب، لأنك تأكل وتشرب وتنام وتتزوج النساء.. فبهت فرعون، وجلساؤه. لكن فرعون بذكائه قال لموسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لِيْنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٤٨﴾ ٢﴾ فيرد موسى بذكاء أفحم فرعون وقال: ﴿ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٤٩﴾ ٣﴾ وبهت فرعون من الرد وقال لسيدنا موسى: ﴿ قَالَ فَأْتِ بِمِثْلِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥٠﴾ ٤﴾ وتحرك سيدنا موسى ورمى بعضاه على الأرض ويصور القرآن ذلك فيقول: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٥٢﴾ ٥﴾ لكن فرعون الذي أراد أن يهون من هول ما حدث، وأن يعتبره من وجهة نظره شيئاً هيناً لذلك ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٥٤﴾ ٦﴾ إن فرعون بخبثه ودهائه قبل التحدي في القضية من دعوته هو أولاً، إلا أنه أشرك القوم معه، وذكرهم بوطنهم، وأن الوطن غال جداً، لذلك كان ردهم: ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَّبِعْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٥﴾ يَا تُولَك بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ ٧﴾ لقد فهم القوم أن موسى وهارون ساحران، وأن مصر بها من السحرة ما لا يتفوق عليهم أحد، وانتهى الأمر بالموافقة على استدعاء أكابر السحرة، الذين وجهت

(١) سورة طه الآية: ٤٧.

(٢) سورة الشعراء الآية: ٢٩.

(٣) سورة الشعراء الآية: ٣٠.

(٤) سورة الشعراء الآية: ٣١.

(٥) سورة الشعراء الآية: ٣٢-٣٣.

(٦) سورة الشعراء الآية: ٣٤-٣٥.

(٧) سورة الشعراء الآية: ٣٦-٣٧.



مِنَ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَى ﴿٦٦﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٧﴾<sup>(١)</sup> بعد تشاور كل فريق بدأ اللقاء المرتقب وهنا تقدم السحرة وقالوا لموسى: ﴿ قَالُوا يَمْؤِسَ يَا مَأْأَن تَلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٨﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ط ﴿٦٩﴾<sup>(٢)</sup> هكذا حكى القرآن عنهم، وإذا بالحبال والعصي تتحرك وسحروا أعين الناس الذين أحسوا بالخوف والرهبة، حتى سيدنا موسى الذي أوجس في نفسه خيفة بعد أن شاهد هذا المنظر الرهيب الذي يدل على قدرة فائقة في السحر، وليس هناك في العالم أحد يستطيع أن يأتي بمثل ما جاء به السحرة اليوم، لكن الله سبحانه ثبت موسى بقوله: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾<sup>(٣)</sup> لم يشعر أحد بما ألهم الله به موسى؛ حيث ثبت يقينه واطمأن إلى نصر الله. كان الجمهور في حالة هياج وتصفيق وتخبيط وصياح، وفرعون في غاية النشوة، فهاهم سحرته الذين أغدق عليهم ووعدهم إن تفوقوا في عملهم وأظهروا براعة في ميدان السحر وغلبوا موسى وهارون أن يمنحهم ويعطيهم... ولكن..

### فرحة فرعون لم تتم

سحرة فرعون قالوا: بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون. أما موسى فقد قال استعنت بالله واعتمدت عليه، فهو سبحانه معي سيهديني إلى الصواب والحق، ولن يخذلني، ثم ألقى عصاه. وكأنني ساعتها بمن يردد:

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

والقرآن يعبر أصدق تعبير عن ذلك فيقول: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾<sup>(٤)</sup> لقد ألهم الله موسى أن هذا فعل السحرة. والساحر لا يفلح أبداً، لأنه أفاك

(١) سورة طه الآيات: ٦٢-٦٤.

(٢) سورة طه الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٣) سورة طه الآية: ٦٨.

(٤) سورة الشعراء الآية: ٤٥.

ومحتال، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ۗ ﴾ ﴿١٣٦﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا ۗ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۗ ﴾ ﴿١٣٧﴾ (١) السحرة رغم أنهم عاشوا في جو الفساد إلا أنهم كانوا على فطرة سليمة، لذلك عندما رأوا عصي موسى تلتهم حباهم وعصيتهم، عرفوا أنهم أمام قوة غير عادية، وأن موسى على حق وأنهم على باطل. ومن الشجاعة أن يعترفوا بأن موسى جاء بالحق الذي يجب عليهم أن يتبعوه، والاعتراف بالحق فضيلة؛ لذلك سجدوا وهم يرددون ويقولون بصوت يسمعه الجميع: ﴿ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ ﴾ ﴿١٣٨﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ۗ ﴾ ﴿١٣٩﴾ (٢) هنا هاج فرعون وكشر عن أنيابه، ثم وجه إليهم التهديد مع توقيع أشد العقاب عليهم ويردد: ﴿ قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ ۗ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۗ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبِنَّاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۗ ﴾ ﴿١٤٠﴾ (٣) لكن السحرة قالوا في صدق وبلغة الواثق: لقد تبين لنا أن موسى وهارون على حق؛ فرد فرعون وقال لهم: ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۗ ﴾ (٤) أنتم وهو تريدون الاستيلاء على ملكي ومملكتي، لكن هذا لن يكون، سأجعلكم عبرة، وسوف أحطمكم، وسأنزل بكم أشد أنواع العذاب، ولماذا فعلتم ذلك وأنا ضمنت لكم الرزق والمكانة العالية في المجتمع، وأنتم رؤساء السحرة وقادة المدارس التي تعلم هذا الفن فلم هذا؟ قالوا: يا فرعون، الحق أحق أن يتبع، فتهادى في غيه وتهديده؛ فردوا عليه وقالوا له: ﴿ لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ ﴾ ﴿١٤١﴾ إِنَّا ءَأَمْنَا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ ۗ ﴾ ﴿١٤٢﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۗ ﴾ ﴿١٤٣﴾ جَنَّتُ عَدْنٍ

(١) سورة طه الآيتان: ٦٨، ٦٩.

(٢) سورة الشعراء الآيتان: ٤٧ - ٤٨.

(٣) سورة طه الآية: ٧١.

(٤) سورة الشعراء الآية: ٤٩.

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ (١). هذه قصة رائعة وقعت أحداثها على أرض مصر، وبين يدي فرعون الذي شعر بالانهزام أمام الجماهير بسبب السحرة الذين أعلنوا صبرهم على العذاب، وقالوا لربهم: أفرغ علينا صبراً، وتوفنا مسلمين، وهذه توبة تقبلها الله منهم، وأثابهم عليها، بل ومن كرمه وفضله وإحسانه أن جعل لهم السيئات السابقة حسنات، لأنه سبحانه القائل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٧٧﴾ يُضَعَّفَ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧٨﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٩﴾ (٢). ومن يقرأ هذه القصة يتبين له أن السحر كله دجل وشعوذة، وأن على الإنسان أن يستعمل عقله ويعتمد على ربه ويؤدي حق الله، وحق الناس، وحق المجتمع فإن فعل ذلك استحق نصر الله الذي وعده للمؤمنين وصدق الله العظيم في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٨٠﴾ (٣).

(١) سورة طه الآيات: ٧٢-٧٦.

(٢) سورة الفرقان الآيات: ٦٨-٧٠.

(٣) سورة غافر الآية: ٥١.